

الخطيئة والتوبة

بين

اليهودية والمسيحية

د. محمد أحمد الخطيب

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والدعوة والثقافة الإسلامية

كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية - جامعة قطر

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن اتبعه إلى يوم الدين، وبعد،

فموضوع الخطيئة من أهم المواضيع وأخطرها في الفكر الديني البشري، وذلك لما يترتب عليها من عقاب أو توبة، ولهذا فإن الديانات السماوية تحدثت عن هذا الموضوع بإسهاب ووضوح، وهذا ما نجده واضحاً في الإسلام عندما بين القرآن الكريم حقيقة الخطيئة التي وقع بها آدم عليه السلام، وتوبة الله عليه قبل نزوله إلى الأرض، كما يبين القرآن أن الإنسان مسئول عن خطيئته، وأن باب التوبة مفتوح له بلا واسطة من إنسان أو غيره.

ولكن هذا الوضوح الموجود في القرآن الكريم، لا نجده في الديانتين الأخرين (اليهودية والمسيحية)، فقد إمتدت إلى قصة آدم الكثير من التحريفات التي أخذت من الأساطير والخرافات، وهذا أدى إلى وقوع أتباع هاتين الديانتين في كثير من الأفكار المنحرفة المتعلقة بطرق التوبة، خاصة عند المسيحيين الذين سحبوا خطيئة آدم إلى ذريته حتى جاء المسيح ليخلصهم منها.

لهذا وبسبب اهتمامي في موضوع مقارنة الأديان، وجدت أنه من الضروري أن أوضح هذه القضية في الديانتين اليهودية والمسيحية، عن طريق المقارنة بين رأي الديانتين في خطيئة آدم، وكيفية انحراف المسيحية عما قرره العهد القديم في هذه المسألة.

إضافة إلى بيان رأي الديانتين في الخطيئة التي يقع بها الناس وإمكانية التوبة والخلاص من عقابها.

وأفردت فصلاً في آخر البحث لأبين بشكل موجز رأي الإسلام في هذه القضية.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة، وستة فصول، وخاتمة، وكان على النحو التالي:

الفصل الأول : خطيئة آدم وموقف اليهودية منها.

الفصل الثاني : الخطيئة والتوبة في اليهودية.

الفصل الثالث : خطيئة آدم وموقف المسيحية منها.

الفصل الرابع : الخطيئة والتوبة في المسيحية.

الفصل الخامس : الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية.

الفصل السادس : موقف الإسلام من الخطيئة والتوبة.

أرجو الله أن أكون قد وفقت في عرض هذا الموضوع، فإن كنت قد أصبت فذلك فضل من الله، وإن أخطأت فهو جهد بشر، معرض للنقص والتقصير.

الفصل الأول

خطيئة آدم وموقف اليهودية منها

قصة الخطيئة الأولى التي ارتكبها آدم عليه السلام في الجنة، من أهم القصص التي يرويها العهد القديم، وذلك لما ترتب عليها من أفكار وعقائد وأساطير في اليهودية والنصرانية .

والملاحظة المهمة الأولى التي يجدها الباحث في سطور هذه القصة: «أن الإنسان الأول وُجد طاهراً نقياً، ولكن الإنسان نسي وصية الله وخضع لوسوسة الشيطان وبذا تدنس، فزالت سيادته، ونالته الأمراض وجاء عليه الموت»^(١).

وثاني هذه الملاحظات، أن الشجرة التي نهي آدم من الأكل منها كانت شجرة «يفضي الأكل منها إلى رقي التفكير وإنحسار أغطية الجهل، وإنبثاق نور المعرفة»^(٢) ولهذا فإن الإنسان عندما أكل من تلك الشجرة «أصبح -مثل الإله- لتمييزه بين الحسن والقبح، وأنه قد أصبح لزاماً أن يطرد الإنسان من الجنة حتى لا تمتد يده إلى شجرة أخرى هي شجرة الخلد، فيكفل لنفسه أرقى صفات الإله وهو البقاء»^(٣).

ومن المناسب بعد ذكر هاتين الملاحظتين اللتان نلاحظهما في سطور قصة خطيئة آدم، أن نورد النص الأصلي الذي ورد في الإصحاح الثالث من سفر التكوين، ومن خلاله نستطيع أن نستنتج المزيد من الأفكار والعقائد التي تؤمن بها اليهودية، وبما جاء في قصة التوراة عن خطيئة آدم مايلي:

(١) اليهود واليهودية/د.عبدالجليل شلبي ص٧٤.

(٢) الأسفار المقدمة/د. علي عبدالواحد وافي ص٢٧

(٣) المصدر السابق ص٢٨

«وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله، فقالت للمرأة: أحقاً قال الله لا تأكل من كل شجر الجنة. فقالت المرأة للحية: من ثمر الجنة نأكل. وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكل منه ولا تمسه لئلا تموتا. فقالت الحية للمرأة: لن تموتا. بل الله عالم أنه يوم تأكل منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر. فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر. فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل. فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان، فخاطا أوراق تين وضعا لأنفسهما مازر. وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبا آدم وامراته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة. فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت. فقال: سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأنني عريان فاخبت. فقال: من أعلمك أنك عريان، هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها. فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت. فقال الرب الإله للمرأة: ما هذا الذي فعلت. فقالت المرأة: الحية غرتني فأكلت. فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين، وتراباً تأكلين كل أيام حياتك. وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه. وقال للمرأة: تكثيراً أكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولاداً. وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك. وقال لآدم: لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً لا تأكل منها، ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. وشوكاً وحسكاً تنبت لك وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها، لأنك تراب وإلى تراب تعود....

وقال الرب الإله: هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً للخير والشر. والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد.

فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها. (١)

وقراءة النص السابق توضح الكثير من المعتقدات التي تؤمن بها اليهودية وأهمها:

(١) أن اليهودية تعتقد أنه لولا خطيئة آدم وأكله من الشجرة لما عاقبه الله وأنزله من الجنة إلى الأرض، فالخطيئة هي السبب في وجود الإنسان على الأرض وإلا لبقى في الجنة!!

(٢) لم ترد كلمة إبليس في القصة، فلم تذكر التوراة إلا غواية الحية لحواء، والحوار الذي دار بينهما.

(٣) نجد أن النص حدد مرتكب الخطيئة الأولى فهو «يحمل حواء مسئولية هذه الخطيئة» (٢) ولولاها لما ارتكب آدم خطيئته، ولذلك فقد حملها الله جزءاً كبيراً من المسئولية وعاقبها بآتاعاب الحمل والولادة.

(٤) أن الشجرة التي نهاهما الله من الأكل منها هي شجرة المعرفة، فلم تكن شجرة عادية، أو شجرة تؤدي إلى الموت، وهذا يعني أن الله - تعالى عن ذلك - قد تعمد أن يضلها وأن لا يذكر لهما الحقيقة.

(٥) أن الله قد عاقب آدم وحواء بخروجهما من الجنة، وكذلك في جملة العقوبات التي ذكرهما لهما، وهذا يعني أن الخطيئة انتهت بتلك العقوبات.

ويؤكد (ول ديورانت) أن الأساطير السامية والسومرية القديمة كانت «المعين الغزير الذي أخذت منه التوراة قصص الخلق والغواية» (٣) ولعل اليهود

(١) العهد القديم / سفر التكوين (٣: ١-٢٤).

(٢) بين الإسلام والمسيحية - كتاب أبي عبيدة الخزرجي - تعليقات د. محمد شامة، الهامش ص ٧٣.

(٣) قصة الحضارة - ول ديورانت - مجلد أول / جزء ثاني ص ٣٦٨.

قد أخذوا بعضاً منها من البابليين، فقد «كان البابليون يؤمنون بأن الإنسان تمرد على قسمة الموت، وطمح إلى خلود كخلود الأرباب، فبحث عن ثمرة البقاء في السماء، وخدعه إله مكر عن بغيته فناوله بديلاً منها ثمرة تشبهها في ظاهرها ولكنها ثمرة البقاء»^(١).

ومما يؤكد أن مصادر التوراة أو غيرها من مصادر اليهود لم تكن سماوية، ذلك التشابه بين القصص الفارسية وقصص التلمود الخاصة بالخلق «قاله خلق في بادئ الأمر إنساناً مكوناً من ذكر وأنثى متصلين من الخلق كالتوأمين الساميين ثم رأى فيما بعد أن يفصل أحدهما عن الآخر»^(٢). وهناك جملة غريبة نجدها في سفر التكوين قد تفسر بهذا المعنى «يوم خلق الله الإنسان على شبه الله عمله. ذكراً وأنثى خلقه وباركه ودعا اسمه آدم يوم خلق»^(٣).

أما قصة الجنة وما حدث فيها من غواية، فيقول ول ديورانت أنها مشابهة تماماً لكثير من القصص الشعبية الموجودة عند عديد من الشعوب «ففي معظم هذه الجنات أشجار محرمة وفيها كذلك أفاع وهولات سلبت الناس الخلود أو نفث السم في الجنة، وأكبر الظن أن الحية والتينة كانتا رمزاً للشهوات الجنسية -في هذه القصص-، وتشير أيضاً إلى أن الشهوة الجنسية والمعرفة تقضيان على الطهر والسعادة، وأنهما مصدر كل الشرور... كما أن المرأة في معظم هذه القصص هي الأداة التي تتخذها الحية وسيلة لإيقاع الإنسان في الشر الجميل»^(٤).

ولو قارنا بين نص التوراة عن قصة آدم في الجنة، وبين ما أشار إليه القرآن الكريم في تحديد مرتكب الخطيئة الأولى، لوجدنا أن التوراة تحمل حواء

(١) اليهودية/ د. أحمد شلبي ص ٢٦٧.

(٢) قصة الحضارة - ول ديورانت - مجلد أول - جزء ثاني - ص ٣٦٨.

(٣) العهد القديم/ سفر التكوين (٢٠: ١٥)

(٤) قصة الحضارة/ ول ديورانت - مجلد أول/ جزء ثاني ص ٣٦٩.

مسئولية هذه الخطيئة^(١). فقد جاء في سفر التكوين أن حواء «أكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل... فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت»^(٢).

أما القرآن الكريم، فينسب الخطيئة إليهما معاً، فهما متضامنان في تحمل المسؤولية، لقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾^(٣) بل نصت آية طه، على أن الشيطان وسوس إلى آدم فقط فيقول تبارك وتعالى: ﴿وَسُوسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى. فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِمَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾^(٤).

«ولا شك أن تبرئة القرآن للمرأة، على هذا النحو، يرفع عنها لعنة لحقتها عبر القرون، ويرفع عنها سبة الضعف المطلق، والإنهيار السريع أمام الغواية، ولا يخفي أثر هذا الاتجاه على وضعها في المجتمع»^(٥).

- (١) انظر ما كتبه الدكتور محمد شامه في تعليقاته على كتاب أبي عبيدة الخزرجي (بين الإسلام والمسيحية) ص ٧٣/الهامش.
- (٢) العهد القديم- سفر التكوين (٦: ٣، ١٣).
- (٣) سورة البقرة: الآية ٣٦.
- (٤) سورة طه: الآية ١٢٠، ١٢١.
- (٥) بين الإسلام والمسيحية، زبو عبيدة الخزرجي- تعليقات د. محمد شامة-الهامش ص ٧٤.

الفصل الثاني

الخطيئة والتوبة في اليهودية

كانت الخطيئة هي الفكرة الأساسية في الدين اليهودي، وكذلك كانت التوبة منها هي الشغل الشاغل للتشريعات اليهودية، «ففي الفكر اليهودي تكثر الخطايا، ففي كل شهوة من الشهوات تكمن الخطيئة»^(١).

ويرر اليهود كثرة الخطايا بأن «الطبيعة البشرية ضعيفة (والسنن) معقدة صعبة فلم يكن ثمة مفر من الوقوع في الخطيئة»^(٢) ولما كانت الخطيئة كامنة في كل شهوة من الشهوات في الدين اليهودي، «أصبحت الهبات والقرايين هي الوسيلة للتفكير عن الخطايا»^(٣)، وقلما كانت هناك خطيئة لا يمكن التكفير عنها بهذه الوسيلة»^(٤).

وعلى هذا كان المجتمع اليهودي مجتمع خطايا، ومجتمع تكفير وغفران في نفس الوقت، «حتى أن التاجر كان ولا يزال يطفف الكيل ويغش في الميزان، ثم يحاول التكفير عن ذنبه بالتضحية والصلاة»^(٥).

وفي اليهودية يمكن اتقاء الخطيئة وتناجها بالصلاة والتضحية من خلال القرايين، «وكان تقديم القرايين طقساً رئيسياً في عبادة اليهود، وكان الذي يقوم بتقديم القرايين لله في أيام الآباء والأوائل لليهود (رب العائلة) عن نفسه وعن عائلته... حتى جاء موسى فرسم لليهود نظاماً دقيقاً مفصلاً لتقديم القرايين،

(١) اليهودية: د. أحمد شلبي ص ٣٠٣.

(٢) قصة الحضارة - ول ديورانت - مجلد أول - جزء ثاني ص ٣٤٥.

(٣) اليهودية - د. أحمد شلبي ص ٣٠٣.

(٤) قصة الحضارة - ول ديورانت - مجلد أول - جزء ثاني ص ٣٤٦.

(٥) اليهودية - د. أحمد شلبي ص ٣٠٣.

وقصر تقديمها على الكهنة وحدهم، يعاونهم اللاويون»^(١) وعلى هذا «لم يكن أحد غير الكهنة يستطيع أن يقرب القرايين بالطريقة الصحيحة أو يفسر الطقوس أو الأسرار الدينية تفسيراً آمناً من الخطأ»^(٢).

وقد أورد سفر العدد صورة مفصلة للمرأة التي تريد أن يغفر لها، وضرورة أن تذهب للكهنة لتعترف عنده بخطيئتها، وذكر السفر أن الكاهن يوقفها أمام الرب ويأخذ ماءً مقدساً من أناء خزف، ويتلو عليه ترانيم وأدعية، ويطلب الكاهن من المرأة الاعتراف، فإن رفضت سقاها من هذا الماء الذي يسمى (ماء اللعنة)، وهددها بأن هذا الماء إذا دخل أحشاءها وهي مذنبه ولم تعترف، ورم بطنها وسقط فخذها، وإذا اعترفت استطاع الكاهن أن يطهرها بالقرايين والهبات والأدعية^(٣).

«وكان اليهود يقدمون القرايين لله تعبيراً عن اعترافهم بخطاياهم، أو تكفيرهم عنها، أو توبتهم عن ارتكابها، أو شكرهم لله، أو تكريس أنفسهم لخدمته... وكانوا يقدمونها من الحيوانات المستأنسة التي تقضي الشريعة بطهارتها، وكان مقدم الذبيحة يضع يده على رأسها ويعترف بخطيئته ثم يذبحها»^(٤)

يقول سفر اللاويين: «ويضع يده على رأس المحرقه فيُرضى عليه للتكفير عنه»^(٥).

وكان ثمة أنواع عديدة من القرايين التي يقدمونها من الحيوانات فكان

(١) المجتمع اليهودي-زكي شنوده ص ١٨٥.

(٢) قصة الحضارة-ول ديورانت-مجلد أول- جزء ثاني ص ٣٤٦.

(٣) انظر: اليهودية: د. أحمد شلبي ص ٣٠٣-والعهد القديم- سفر العدد (١١: ٥)

(٤) المجتمع اليهودي-زكي شنوده- ص ١٨٥، ١٨٦.

(٥) العهد القديم-سفر اللاويين (٥: ١).

منها^(١):

١ - المحرقات:

وكانوا يقدمونها صباح ومساء كل يوم تكفيراً عن الخطايا، فكانت هذه المحرقة الدائمة، إذ جاء في سفر الخروج: «وهذا ما تقدمه على المذبح، خروفان حوليان كل يوم دائماً، الخروف الواحد تقدمه صباحاً، والخروف الثاني تقدمه في العشية . . . محرقة دائمة في أجيالكم»^(٢)

٢ - ذبائح السلامة:

وكانوا يقدمونها طلباً للرضا من الله، أو تعبيراً عن الشكر لله.

٣ - ذبائح الخطيئة:

وكانوا يقدمونها للتكفير عن خطاياهم التي يرتكبونها، ولم يكن مسموحاً لمقدمي ذبيحة الخطيئة أن يأكلوا أي جزء منها. وتتميز هذه الذبيحة من الناحية الطقسية عن غيرها من أنواع الذبائح برش الدم على قوائم بيت الله وعلى زوايا المذبح الأربع . . . وحرق الجثة خارج المكان عندما يكون سبب تقديم هذه الذبيحة وقوع جماعة من اليهود في الخطيئة^(٣).

٤ - ذبائح الإثم:

وكانوا يقدمونها في الغالب عن الخطايا الشخصية التي تحدث سهواً،

(١) انظر: المجتمع اليهودي - زكي شنوده ص ١٨٨-١٩٢

(٢) العهد القديم: سفر الخروج (٢٩: ٣٨-٤٢)

(٣) انظر: سفر اللاويين (٤: ١، ١٢)

وتكون هذه الذبائح غالباً من الكباش^(١).

وقد قضت الشريعة اليهود بتقديم القرابين السابق ذكرها وبأنواعها المختلفة، «لتذكير اليهود بخطاياهم، وللتكفير عنها إرضاء لقداسة الله التي ترفض الخطيئة، ولكن اليهود اتخذوها على العكس مبرراً لإرتكاب الخطايا، ماداموا يستطيعون بالقرابين التكفير عنها، واجتناب القصاص الذي تستوجبه، ناظرين إلى هذه الطقوس من ناحيتها الشكلية فحسب، معتقدين أن مجرد القيام بها يغني عن الحكمة المقصودة من ورائها. ومن ثم أهملوا كل الواجبات الروحية والأدبية والإنسانية التي هي جوهر الدين»^(٢).

وقد استغل أحبار اليهود تلك الطقوس الشكلية التي كان يقوم بها اليهود، بابتكار نظام جديد عجيب يدل على الخداع والاحتيال على النصوص المقدسة عندهم فهم وإن تمسكوا بحرفية النص، إلا أنهم خالفوا روحه ومقاصده... وقد عرف هذا النظام المخادع باسم (نظام الإعفاءات الشرعية)... وتناول تلك الإعفاءات معظم الأحكام المتعلقة بالقصاص والعقاب^(٣)

وأصبحت الخطيئة والتكفير عنها تستغل بشكل خطير من قبل الكهنة اليهود، ونتج عن ذلك: «أن وضع كهنة اليهود أنفسهم بين الناس وبين الله، فلم يكن يقبل توبة ولا قرابين إلا إذا باركها الكاهن، فقد كان مفتاح السماء بين يديه»^(٤) حتى الحيض والولادة عند اليهود «كالحطية يدنس المرأة ويتطلبان تطهيراً ذا مراسم وتقاليد، وتضحية وصلاة، على يد الكهنة»^(٥)

(١) انظر: سفر اللاويين (٥: ١٥، ١٦)

(٢) المجتمع اليهودي: زكي شنوده، ص ٢٦٥.

(٣) إسرائيل وهويتها الممزقة: د. عبدالله عبد الدائم ص ١٦

(٤) اليهودية: د. أحمد شلبي ص ٢١٥

(٥) قصة الحضارة: ول ديورانت-مجلد أول -جزء ثاني ص ٣٤٦.

ولقد كان بعض اليهود أيضاً في أيام المسيح «يؤمنون بأن الغطس في الماء المتدفق يغسل الأيام، وكان يوحنا هو الآخر يؤمن بذلك فعمد الناس في ماء نهر الأردن قبل أن يعظهم... ولهذا سمي (يوحنا المعمدان)»^(١).

وقد حددت الشريعة اليهودية يوماً في كل سنة للتكفير عن الخطايا، تسميه (يوم الكفارة) أو (يوم الغفران)، وهو يوم «الحساب النفس، والندم على ما يدر منها من الخطايا، والتكفير عنها»^(٢) وكان ينبغي في هذا اليوم «الامتناع عن العمل وتذليل النفس بالصوم والإعتراف بالخطايا»^(٣).

وبعد انقسام مملكة اليهود إثر موت سليمان -عليه السلام- إلى مملكتين متناحرتين، أدى ذلك إلى استئراء التفكك السياسي والاجتماعي، والانحلال الديني والخلقي، وعبادة الأصنام، وفي ظل هذا الجو المشحون ظهر الأنبياء الكثيرون الذين بعثهم الله من أجل إرجاع اليهود إلى الطريق الصحيح.

وقد كان هؤلاء الأنبياء «يذكرون دائماً ما يحل ببني إسرائيل من كوارث، ليس إلا عقوبة لهم على تفريط في قوانين التوراة، وأن إنحرافهم عن الشريعة الموسوية يسبب لهم الكوارث وينزل عليهم العقوبات»^(٤).

من أجل هذا فقد كان خطاب هؤلاء الأنبياء «أن يهوه حين يغضب على بني إسرائيل يسلط عليهم من الأمم من يذلهم ويقهرهم»^(٥).

ويتبين لنا من رواية العهد القديم أن العقاب الذي حل بمملكة إسرائيل وذلك، بانحباس المطر والجفاف، لم يكن إلا بسبب عبادتهم لبعل وتركهم

(١) قصة الديانات: سليمان مظهر ص ٣٨٩

(٢) الفكر الديني اليهودي: د. حسن ظاظا ص ١٦٨

(٣) المجتمع اليهودي: زكي شنوده ص ٢٦٥

(٤) اليهود واليهودية: د. عبد الجليل شلبي ص ٧٣

(٥) المصدر السابق، ص ٥٥

لعبادة الله، بالإضافة إلى الانحلال والفساد الذي تفشى في تلك المملكة ممثلاً في الملك نفسه، لذلك أقسم النبي إلياهو للملك (آحاب) بأنه لن ينزل مطراً من السماء إلا بناء على طلبه من الرب»^(١).

فالقرايين والهيئات وغيرها أصبحت أمراً شكلياً لا يدل على توبة أو طلب للمغفرة، لهذا كان العقاب الإلهي لليهود بعد انحرافهم العقائدي الكبير أن سلط عليهم الأمم والشعوب الأخرى تسومهم العذاب من قتل وتشريد، وهذا واضح في النصوص التي توردها أسفار التوراة على لسان أنبيائهم.

وقد كانت مملكة إسرائيل أكثر فساداً وانحلالاً من من المملكة المجاورة (يهوذا)، وبسبب ذلك ظهر الكثير من الأنبياء ينذرون الناس وحكامهم من مغبة الماضي في عصيان الله.

ومن الأنبياء الذين حذروا وأنذروا في ذلك الوقت (عاموس)، «ويبدو أن نبوءة عاموس من أشد نبوءاته إيلاماً، لأنها تحققت وهو لا يزال حياً»^(٢)، وهو زوال مملكة إسرائيل على يد الآشوريين: «هكذا قال الرب: كما ينتزع الراعي من فم الأسد كراعين أو قطعة أذن، هكذا ينتزع بنو إسرائيل الجالسون في السامرة في زاوية السرير وعلى دمقس الفراش»^(٣).

وقام نبي آخر في ذلك الوقت يهدد السامرة ومملكة إسرائيل بالخراب وهو (هوشع) الذي قال: «اسمعوا قول الرب يا بني إسرائيل: إن للرب محاكمة مع سكان الأرض لأنه لا أمانة، ولا إحسان، ولا معرفة الله في الأرض، لعن كذب وقتل وسرقة وفسق»^(٤) ثم يطالبهم بالعودة إلى الله فيقول: «ارجع

(١) اليهود في العالم القديم: د. مصطفى كمال عبدالعليم و د. سيد فرج ص ١٩٤

(٢) قصة الحضارة: ول ديورانت، الجزء الثاني-المجلد الأول- ص ٣٥١

(٣) العهد القديم: سفر عاموس (١٢: ٣، ١٣)

(٤) العهد القديم: سفر هوشع (٤: ١-٣)

ياإسرائيل إلى الرب إلهك لأنك قد تعثرت باثمك ، خذوا معكم كلاماً وارجعوا إلى الرب، قوله إله: ارفع كل إثم واقبل حسناً»^(١).

وعندما جاء الغضب الإلهي على مملكة يهوذا، بعد أن زاد فجورهم وعصيانهم، قام أنبياء كثيرون ، يعلنون وبشكل واضح أن تسليط البابليين عليهم وحصارهم (لأورشليم) لم يكن إلا جزءاً من العقاب الإلهي، ومن هؤلاء (إشعيا) و(إرميا)، وقد كان إرميا تشتعل في صدره «نيران الغضب حين رأى ما عليه قومه وزعمائهم من انحطاط في الأخلاق... ورأى فرضاً عليه أن يدعو بني إسرائيل إلى التوبة والندم»^(٢).

لذلك نجده يبين لقومه نعم الله عليهم وجحودهم لها وما قاله: «اسمعوا كلمة الرب يابيت يعقوب وكل عشائر بيت إسرائيل، وهكذا قال الرب، ماذا وجد فيّ آبائكم من جور حتى ابتعدوا عني وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً، ولم يقولوا أين هو الرب الذي أصعدنا من أرض مصر الذي سار بنا في البرية في أرض قفر وحفر في أرض ييوسة، وظل الموت في أرض لم يعبرها رجل ولم يسكنها إنسان، وأتيت بكم إلى أرض بساتين لتأكلوا ثمرها وخيرها، فأتيتم ونجستم أرضي وجعلتم ميراثي رجساً، الكهنة لم يقولوا أين هو الرب، وأهل الشريعة لم يعرفوا والرعاة عصوا عليّ»^(٣).

حتى أنه تنبأ بخراب أورشليم على يد (بنوخذ نصر) فقال: «من أجل ذلك يضر بهم الأسد من الوعر كذئب المساء يهلكهم، يكمن النمر حول مُذنبهم، كل من خَرَج منها يُفترس لأن ذنوبهم كثرت، تعاظمت معاصيهم، كيف أصفح لك عن هذه أما أعاقب على هذا... إصعدوا على أسوارها

(١) العهد القديم: سفر هوشع (١:١٤)

(٢) قصة الحضارة: ول ديورانت - الجزء الثاني - المجلد الأول - المجلد الثاني ص ٣٥٩

(٣) العهد القديم: سفر إرميا (٢: ٤-٨)

واضربوا»^(١).

ومن خلال النصوص السابقة يمكننا أن نلاحظ عدة حقائق ظهرت في الفكر اليهودي، أهمها وأخطرها أن القرابين والأضحيات والهبات لم تعد تغني شيئاً من كثرة الذنوب والخطايا وعظمتها، لهذا فقد أقفل باب التوبة أمام اليهود وواجه اليهود مجموعة تحذيرات إلهية وجهها الأنبياء كانت أولها في مملكة إسرائيل، وكان آخرها في نهاية مملكة يهوذا التي لم تتعص مما حلَّ بجارتها. وهذا يعني أن الرب لم يعد يقبل توبتهم عن طريق تقديم القرابين والهبات على يد الكهنة، وإنما جعل تخليصهم من آفامهم بالعذاب والتشريد على يد أمم أخرى.

وبعد خراب أورشليم وسبي اليهود إلى بابل وجد كهنة اليهود صعوبة «في إقامة طقوس عبادتهم في المنفى، وقد استبدلوا بهذه الطقوس (القربان والصيام والصلاة) واضطروا إلى التفاوضي عن أداء طقوس السبت»^(٢)

ومن التعديلات التي أدخلها كهنة اليهود بعد خراب أورشليم الأول «تحریم النطق باسم الإله القومي (يهوه) للشعب اليهودي، لأن اليهود تعرضوا لعذاب الله بالهزيمة والسبي والتشريد بسبب الكبائر التي ارتكبوها وأغضبوا بها الله، فأصبحوا من ذلك التاريخ نجسين لا يحق لهم التلطف باسمه، وما زال هذا التحريم قائماً حتى الآن»^(٣).

وفي زمن السبي البابلي أتيح للفكر الديني اليهودي أن يدرك، أن ما حل بهم من شقاء كان نتيجة مؤكدة لعدم اتباع شرائع يهوه واتباعهم لمعبودات أخرى، مما دفع الرب إلى الانتقام منهم . . . وكثر بينهم الأنبياء في هذا الوقت

(١) العهد القديم: سفر إرميا (٥: ٦-١٠)

(٢) اليهود في العهد القديم: د. مصطفى كمال عبدالعليم ورفيقه - ص ١٧٠

(٣) المصدر السابق - ص ١٩١

ومنهم النبيان (حجاي، وإشعيا الثاني) اللذان ولدا في السبي البابلي، ويبدو من أقوال إشعيا الثاني التي يدعو فيها إلى الوحدة النقية، أنه يذكر اليهود بأن الشقاء وسيلة للتطهير أتاحها الرب»^(١).

وفي ظل هذا الوضع، ومع الحوادث التي تعرض لها اليهود في أثناء السبي البابلي «أصبح حلم الأنبياء والمصلحين والكثرة الكثيرة من اليهود أن يأتي ملك فذ من نوعه، مخلص، معه القوة والبركة، معجز يعيد الأمجاد السالفة، فيكون هو الملك بحق وهو (المسيح المخلص)»^(٢) وتأتي فكرة انتظار المسيح المخلص مقترنة بفكرة تجديد العهد مع الرب عندما يحصل الشعب على استقلاله وحرية بعد رضاء الرب^(٣)، عندئذ تتجدد أمة الله، لتصبح جديدة بالله، وعندئذ تصير أورشليم مدينة لا مثيل لها بين المدائن، يقيم فيها الرب على جبل صهيون، ويتجمع فيها المشردون من بني إسرائيل، وتزول الأحقاد^(٤) مع أن الأنبياء كانوا يقصدون من المخلص ويوم الرب الذي سيقمه «معنى التهديد والوعيد والانتقام من العصاة وفي مقدمتهم الشعب الإسرائيلي نفسه»^(٥).

ويرى بعض المؤرخين أن فكرة المسيح المخلص مستعارة من الديانة الزرادشتية التي يدين بها الفرس، التي «تبرز انتصار الخير على الشر في الصراع الطويل بينهما، وذلك الذي سماه الفرس (خيراً) هو نفسه ما أسماه اليهود (المسيح)»^(٦).

(١) المصدر السابق ص ١٧٠

(٢) الفكر الديني اليهودي: د. حسن ظاظا ص ١٠٩

(٣) السامريون واليهود: د. سيد فرج راشد ص ١٣٤

(٤) الفكر الديني اليهودي: د. حسن ظاظا ص ٩٨

(٥) المصدر السابق ص ٩٧

(٦) اليهودية: د. أحمد شلبي - ص ٢١٩

والخلاصة التي تنتهى إليها أن الشقاء الذي حلّ باليهود بعد السبي البابلي كان في اعتقادهم تطهيراً لذنوبهم وكبائرهم، وأنه سيكون في نهاية هذا الشقاء يوماً عظيماً سموه بـ (يوم الرب) يظهر فيه المخلص الذي سيعيد مجد اليهود بعد أن تطهروا من آثامهم.

الفصل الثامن

خطيئة آدم وموقف المسيحية منها

الخطيئة الأولى التي تركز عليها عقيدة النصرانية، أخذتها من قصة التوراة في موضوع خطيئة آدم -التي سبق ذكر نصها- وخروجه على أثرها من الجنة.

وبناء على هذه القصة الموجودة في التوراة، تبني المسيحية عقيدتها في خطيئة آدم فيقولون: «إن الإنسان الأول سقط في عشرة العصيان، ويسقطه هذا، أصبح واقعاً تحت حكم الموت، الذي أنذره به الله تعالى، عندما وضعه في جنة عدن، مقضي به عليه، كما أنه قد خسر كماله الأدبي، الذي خلقه الله عليه، وأصبح خاضعاً لنااموس الفساد، وسلطان الخطية. ولما كان الشوك لا يثمر تيناً، فقد صار جميع نسل هذا الإنسان الأول فاسداً كفساده واقعاً مثله، تحت حكم الموت»^(١).

إذن فالمسيحية «تعتبر أن الموت الجسدي سببه خطيئة آدم التي ورثها الناس عنه، وأن الإنسان خالد، وأن آدم لو لم يخطئ لما مات ومات البشر من بعده، وتعتبر أن الموت ليس من صنع الله، لأن الله خالد وخلق الإنسان على صورته ذاته خالداً أيضاً»^(٢).

(١) المسيحية في الإسلام : إبراهيم لوقا ص ١٥٩

(٢) اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام: د. فرج أبو عطا ص ٧١

فالمحور الذي تركز عليه العقيدة المسيحية أن خطيئة آدم ترتب عليها الموت لأدم وللنفس من بعده، وهذه المعاني تفيض بها رسائل بولس ، فقد ورد في رسالة رومية «لأن أجره الخطية هي موت». وأما هبة الله فهي حياة أبدية مع المسيح»^(١)

«ووقع آدم تحت الحكم الإلهي-كما تعتقد المسيحية- وأخذ عقاب اللعنة وهي الحرمان من نعمة الله، والموت وهو التوقف عن مسيرة الخلود. . وسلم آدم ذريته هذه الطبيعة، طبيعة غير مفتحة على الله، بل مفتحة على الشيطان، طبيعة تحت اللعنة بمعنى أنها خالية من نعمة الله، قابلة للموت بمعنى توقفها عن الخلود (أي الحياة الأبدية)»^(٢)

وهكذا تعتقد المسيحية، «أنه منذ أن ذاق الإنسان الشقاء على الأرض وألمت به المصائب والضيقات، وعى جيداً أنها كلها ثمناً لعصيانته، وجزاء وفاقاً لإثمته وخطاياها، منذ أول تعزبه عمن أحبه وخلقه، وهو يحلم بالعودة كلما عز عليه انتظارها، وفي حلمه وفي انتظاره بدأ الإيمان كل يوم يتربى عنده ومع الإيمان الثقة أنه عائد حتماً»^(٣)

ولكن كيف يعود الإنسان؟ وكيف يحقق حلمه بعد اغترابه الطويل؟ هل يشعر الإنسان بضرورة الخلاص؟ وإن كان لا بد منه، فكيف يتم وعلى يد من؟

يجيب النصارى على هذه التساؤلات بقولهم: «أن الله تعالى اختار بجلء حريته أن يحقق خلاص البشرية بوساطة يسوع المسيح، وأنه تعالى لم يكتف بأن جسّد كلمته في يسوع، بل أراد أن تكون لأفعال يسوع قدرة خلاصية

(١) العهد الجديد: رسالة بولس إلى أهل رومية (٦: ٢٣)

(٢) شرح رسالة القديس بولس إلى أهل رومية: الأب متى المسكين ص ٩١

(٣) الرسالة إلى العبرانيين: شرح ودراسة - الأب متى المسكين ص ٢٥٧

خاصة^(١) يقول بولس: «ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا»^(٢)

وأساس هذا الموضوع عند المسيحيين «أن من صفات الله العدل والرحمة، وبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التي ارتكبتها أبوههم وطرد بها من الجنة واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها، وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر، ولم يكن هناك من طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله ووحيده وقبوله أن يظهر في شكل إنسان وأن يعيش كما يعيش الإنسان ثم يصلب ظلماً ليكفر عن خطيئة البشر»^(٣)

وعليه فإن المسيحية تعتقد «أن المسيح جاء ليغفر الخطايا، ويظهر للخطاة أن محبة الله أعظم من خطاياهم»^(٤)

ومن الظاهر أن فكرة الخلاص بتقديم الإله أو ابنه فداء لتكفير خطيئة أزلية متلبسة بها الإنسانية قد انتقلت إلى المسيحية من ديانات وأفكار وفلسفات متعددة، «فالبرهميون يعتقدون أن كرشنا وهو الإله (فيشنو) قد خلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه، ويصورون فيشنو مصلوباً مثقوب اليدين والرجلين وعلى قميصه صورة قلب الإنسان معلقاً»^(٥) «ويصفونه بأنه البطل الوديع المملوء ألوهية، لأنه قدم شخصه فداء للخليقة عن ذنبها الأول»^(٦).

-
- (١) الديانة المسيحية : نهى نجار ص ٩١
 - (٢) العهد الجديد : رسالة بولس إلى أهل رومية (٨: ٥)
 - (٣) المسيحية: د. أحمد شلبي ص ١٣٥
 - (٤) الديانة المسيحية: نهى نجار ص ٩٣
 - (٥) الأسفار المقدسة: د. علي عبد الواحد وافي ص ١٣٠
 - (٦) مقارناً الأديان (الأديان القديمة) محمد أبوزهرة ص ٢٤

«ومن الغريب أن الأوهام التي جعلها بوذيو التبت أوصافاً لبوذا تتوافق مع ما ينحله المسيحيون عن شخصية المسيح»^(١) ، «حتى إنهم لسيمونه (المسيح)، والمولود الوحيد، ومخلص العالم، ويقولون أنه إله كامل تجسد بالناسوت، وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر»^(٢).

ومن المؤكد أن بولس الذي أعلن اعتناقه للمسيحية بعد نهاية المسيح على الأرض «هو الذي تبنى فكرة سفك دم المسيح كفارة عن خطايا البشر، وروج لها في رسائله.. فلقد كان الصليب وسفك الدم، هو ما عزم بولس على ألا يعرف من المسيحية شيئاً غيره»^(٣) وهو يقرر ذلك في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس حيث يقول: «لأنني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً»^(٤)

والغريب «أن نظرية بولس في سفك دم المسيح ليس لها أساس في تعاليم المسيح أو تلاميذه الحقيقيين الذين عاصروه وتعلموا بين يديه، وما كان بولس واحداً منهم، فهو لم ير المسيح، ولم يتلمذ عليه، بل كان في بداية أمره سوط نقمة على المؤمنين بالمسيح، وعدواً لدعوته»^(٥)

فتلاميذ المسيح أنفسهم «لم يجدوا كلمة واحدة تشير إلى إمكان قيام مسيح يعذب تعذيباً شائناً... فموت عيسى في نظرهم ليس بالتضحية التكفيرية»^(٦).

(١) المصدر السابق ص ٤٧

(٢) الأسفار المقدسة: د. علي عبدالواحد وافي ص ١٣٠

(٣) الميزان في مقارنة الأديان: محمد عزت الطهطاوي ص ٢٢٣.

(٤) العهد الجديد: رسالة بولس إلى أهل كورنثوس (الأولى) (٢:٢)

(٥) الميزان في مقارنة الأديان: محمد عزت الطهطاوي ص ٢٢٤.

(٦) المسيحية (نشأتها وتطورها): شارل جنيبير ص ٩١

«فمن المرجح -إذن- إن لم يكن من الثابت تاريخياً، أن بولس تدرج في نشأته الأولى بين أحضان بيئة مشبعة بفكرة (النجاة) ، القائمة على شفاعة أو وساطة إله يموت ثم يبعث، ويشاركه أتباعه في مصيره . . . ويتضح في رسائله أيضاً أنه يعتمد على رصيد من المذاهب - حول طبيعة الرنسان وفكرة الإثم والعلاقة بين الإثم والموت-»^(١)

والقارئ لرسالة بولس إلى أهل رومية يجد-كما يقول جنير-: «تعبيراً عن حالة بولس النفسية قبل تحوله إلى المسيحية . . . إنه غير قادر على مقاومة الخطايا التي تبرزها الشريعة اليهودية في كل مكان من الأرض، وفي كل جانب من جوانب الحياة. وتلك بالذات كانت في هذا الزمن الحالة النفسية التي تدفع بأهلها إلى البحث في غير ما هواده عن (المنقذ) عن (الوسيط الإلهي)، عن (الهادي) المنزه عن الخطأ . . . ويضيف قائلاً: ولم يلبث بولس أن أدرك أن فكرة البعث وحلول مملكة الله لا تهم الإغريق والرومان كثيراً، بل لم تكن لتجد لها تفسيراً ودعامة إلا بمزجها في عناصر الأمل القومي اليهودي. وإذا أريد للمشركون -الإغريق والرومان- أن يتفهموها، كان لابد من توسيع مداها وتقريبها من بعض المفاهيم المعتادة في تعاليم الأسرار الوثنية. فيقدم المسيح لا على أنه الرجل الذي نفخ فيه (يهوه) من قوته نجده للشعب المختار في محنته . . . بل على أنه مبعوث الله حقيقة، أرسل ليحمل إلى الناس جميعاً الخلاص واليقين بحياة أخرى سعيدة . . . ورأى بولس أيضاً: أن الأتباع الجدد من المشركون لم يكونوا ليتقبلوا كل القبول فضيحة الصليب، وأنه يجب تفسير ميتة عيسى المشينة تفسيراً مرضياً يجعل منها واقعة ذات مغزى ديني عميق، وأعمل فكره في هذه المشكلة؟ ووضع لها حلاً كان له صدى بالغ المدى: لقد تجاهل فكرة عيسى الناصري . . . ولم يتجه إلا إلى (عيسى المصلوب)، فتصوره شخصية إلهية تسبق العالم نفسه في الوجود، وتمثل نوعاً من التشخيص لروح إله، تصوره رجلاً سماوياً، احتفظ به الله إلى جانبه أمداً طويلاً، حتى نزل إلى

(١) المصدر السابق ص ٨٠، ٨٣

الأرض لينشئ فيها حقاً بشرية جديدة يكون هو (آدمها)»^(١)

وخلاصة حديثنا أن الخطيئة بمفهومها المسيحي بعيدة كل البعد عن المفهوم الذي جاءت به التوراة، أو بشر به المسيح، وإنما كانت من اختراع بولس الذي تأثر بالبيئة التي كان يعيش بها، فأخرج المسيحية من دين يحمل لواء الإصلاح لبني إسرائيل، إلى دين يقوم على فكرة واحدة تقول بأن الخطيئة سبب شقاء الإنسانية، ولولا المسيح الذي خلصها منها، لبقيت في هذا الشقاء الأبدي.

(١) المصدر السابق ص ٩٨ ، ١٠٥

الفصل الرابع

الخطيئة والتوبة في المسيحية

وبفداء البشرية من خطيئتها الأولى عن طريق تجسد الإبن بصورة البشر وصلبه وقتله بعد ذلك فتح الباب أمام الإنسان -كما يرى النصارى- لتمسح عنه آثار تلك الخطيئة الأولى.

فالخطيئة التي كانت سبباً في غضب الله على البشرية، قد كفر عنها المسيح ورفعت عنها نهائياً، ولكن الخطيئة التي يقوم بها الإنسان بعد ذلك، فهو مسئول عنها، فعليه أن يعترف بها أمام الكنيسة ليأخذ الغفران.

من أجل ذلك فقد أقامت الكنيسة المسيحية مجموعة من الطقوس والشعائر تعبر عن قدرتها على غفران الذنوب والخطايا.

فالمسيحية تعتقد «أن الكنيسة امتداد للمسيح ولإستمرارية وجوده معنا، من خلال الرسل وخلفائهم والأسرار، من أجل ذلك أوصى المسيح بالتبشير والعماد، وأقام بطرس رئيساً للكنيسة، وجعله حارس الإيمان، وقلد الرسل وخلفاءهم سلطان (الربط والحل) وغفران الخطايا»^(١)

فمفهوم الكنيسة أصبح عند المسيحيين: «أنها سر شعب مازال خاطئاً، ولكنه حائز على عربون الخلاص، لأنه امتداد لجسد المسيح وموطن المحبة، وهي سر مؤسسة بشرية وإلهية معاً، يستطيع الإنسان أن يجد فيها النور والغفران والنعمة للتسييح بمجد الله... فالمسيح -كما يدعون- الذي قام من الموت يحيا في جماعته ومعها، فلازال يفعل الأمور التي كان يفعلها مدة حياته

(١) الديانة المسيحية : نهى نجار ص ١١١

من تعليم وصلاة وخدمات وشفاء لمرضى، وإطعام الجياع، ومسامحة الخطاة،
وتكبد الآلام والموت»^(١).

إذن فالمصالحة التي تمت بين الله والبشر -عن طريق المسيح- «لا تعني أنه لا تثريب على البشر في الخطأ والعصيان، بل إن تلك المصالحة تمت لحساب الكنيسة، فجسد المسيح ودمه اللذان يكفران عن الذنوب والخطايا في عرف الكنيسة محفوظ لديها، وهي وحدها التي توزعه على من تعطيه من الناجين، أما من تجرمه الكنيسة فلا تعطيه جسد المسيح أو دمه فيصبح من الهالكين في الدنيا، يحرق بالنار عندما تصدر عليه الكنيسة عقوبة الحرمان، فضلاً عن حرقه في نار الآخرة بعد ذلك»^(٢).

ومن الطقوس المهمة التي ابتدعها بولس -في مسألة الخطيئة- واعتبرتها الكنيسة سراً من أهم أسرارها (العماد أو التعميد)!! ويقوم العماد عادة على تغطيس كلي أو على الأقل برش الماء على الرأس، وحسب بولس يمثل التغطيس موت المسيح ودفنه، ويرمز الخروج من الماء إلى القيامة بالإتحاد معه... فالمعتمد يموت من حيث الخطيئة، ويحيا من أجل الله في المسيح، وهو يحيا بحياة المسيح»^(٣).

ويعتقد (جنير) أن التعميد وطقوس الإغتسال فيه «إنما كانت من قبيل عائلة الطقوس الوثنية ولم تكن نابعة من روح الدين اليهودي، ذلك أن بولس يقول في الرسالة إلى أهل غلاطية: (لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح)^(٤)، وهذا يعني أن المسيحي يتحد بالمسيح بواسطة التعميد... فبالتمديد (يرتدي المسيحي المسيح) كما يرتدي اللباس المقدس المنجي، وهو ينزل رمزياً

(١) المصدر السابق ص ١٠٦، ١٠٩

(٢) الميزان في مقارنة الأديان -محمد عزت الطهطاوي ص ١٥٩

(٣) المصدر السابق ص ١١١، ١١٢

(٤) العهد الجديد: رسالة بولس إلى أهل غلاطية (٢٧:٣)

إلى عالم الأموات بغطوسه في النهر أو إناء التعميد، فإذا ما خرج بعد غطسات ثلاث تماماً كما خرج المسيح من القبر بعد أيام ثلاث، أيقن بأنه سوف يجد يوماً إن أراد الله له ذلك كما مجد المسيح»^(١).

وتعتقد المسيحية «أن المسيحي لا يدرك أبعاد عماده، أي اتحاده بموت المسيح وقيامته، إلا على مدى الحياة كلها، التي تتطلب منه موتاً مستمراً عن الخطيئة، وقيامه دائمة إلى حياة المسيح. وانطلاقاً من هذا الإلتزام، يتخذ العماد كل معانيه وأبعاده إنه ولادة جديدة بالروح تؤله المعتمد إذ تملأه من روح الله، فلا يعود غريباً عن الله، بل يدخل في عائلة الله، ويجعل من الله مبدء أعماله ومحور حياته؟»^(٢).

وهكذا أصبح التعميد في المسيحية «احتفالاً معقداً، يشتمل على أقل تقدير على مجموعة من التعليمات الخاصة وعلى الغسل بالماء الذي يكرر ثلاثاً، وعلى إجراء اللمس باليد الذي يصاحبه المسح بالزيت المقدس»^(٣) وأصبح أيضاً علامة مهمة ورئيسية تدل على اعتناق المسيحية.

أما الشعيرة الثانية التي ابتدعها بولس وأقام لها الطقوس، وأعطاهها معان لا تحتملها هي ما تسميه الكنيسة بـ (المنافسة) أو (العشاء الرباني الأخير)، والذي «يرمز إلى عشاء عيسى الأخير مع تلاميذه، إذ اقتسم معهم الخبز والنبذ، فالخبز يرمز إلى جسد المسيح الذي كسر لنجاة البشرية، أما الخمر فيرمز إلى دمه الذي سفك لهذا الغرض»^(٤).

لقد استطاع بولس أن يجد لهذا العشاء «تفسيراً يربطه برباط لا ينقسم إلى

(١) المسيحية: نشأتها وتطورها- شارل جنيير- ص ١١٠

(٢) الديانة المسيحية: نهى نجار- ص ١١٣

(٣) المسيحية: نشأتها وتطورها- شارل جنيير- ص ١٥٣

(٤) المسيحية: د. أحمد شلبي ص ١٤٨

عذاب عيسى الذي تحمله لتخليص البشرية، وغمره غمراً بذلك المفهوم الخصب للتضحية من أجل التفكير... فجعل منه غاية لسر رفيع، وتذكرة ورمزاً حياً - أرادهما عيسى نفسه - فيما زعم بولس لما لقيه من عذاب الصלב»^(١).

وأكل الخبز وتناول النبيذ من قبل المسيحي، يُعد من قبل الكنيسة (قرباناً مقدساً)، وهو أحد الأسرار السبعة عند الكنيسة^(٢).

وبناء على ذلك يؤمن المسيحيون أنه عندما يشتركون في هذا العشاء «يكون المسيح معهم وجوداً جسدياً... فالبانولة - أي مناوله الخبز والنبيذ - يتم اتحاد المؤمنين اتحاداً كيانياً عميقاً بشخص السيد المسيح»^(٣).

من أجل ذلك فقد سمي المسيحيون هذه الشعيرة بـ (الإستحالة) لإعتقادهم «أن من أكل هذا الخبز وشرب هذه الخمر - في عيد الفصح - استحال الخبز إلى لحم المسيح والخمر إلى دمه فيحصل امتزاج بين الأكل وبين المسيح وتعاليمه»^(٤)، وهكذا أصبحت هذه الطقوس القربان الذي يقدمه المسيحي عن خطاياهم، بدل القرابين التي كان يقدمها اليهود عن خطاياهم.

أما الشعار الثالث الذي رفعتة الكنيسة وعدته أحد أركان المسيحية، وسراً من أسرار الكنيسة فهو (الاعتراف، والإقرار بجميع الذنوب أمام القسيس). إذ يعتقد المسيحيون أنه لا يمكن دخول الجنة، إلا بعد الإقرار بالذنوب للقسيس، «فقد جعل الله في أيدي المطارنة والقسيسين ما لم يجعله في يد أحد، وذلك أن كل ما يفعلونه في الأرض يفعله الله في السماء، فإذا أذنبنا، فهم الذين يقبلون التوبات، ويعضون عن السيئات، بأيديهم صلاح الأحياء

(١) المسيحية: نشأتها وتطورها - شارل جنيير - ص ١٠٩

(٢) الديانة المسيحية: نهى نجار - ص ١١٣

(٣) المصدر السابق: ص ١١٤، ١١٦

(٤) المسيحية: د. أحمد شلبي ص ١٤٨

والأموات»^(١)

وقد أخذ رجال الدين النصارى حق غفران الذنوب عن طريق اعتراف المذنب أمامهم من قرارات المجامع الدينية عندهم «إذ منحت البابا سلطات دينية ترفعه إلى مرتبة غفران الذنوب، فقد قرر مجمع روما المنعقد سنة ١٢١٥م) أن الكنيسة البابوية، تملك حق الغفران وتمنحه لمن تشاء، ومن يملك حق الغفران، يملك بالتالي حق الحرمان. وقد باشر رجال الدين في الكنيسة هذه السلطة وتوسعوا فيها، فأخذوا يبيعون صكوك الغفران، ويصدرون قرارات الحرمان حتى لو تعلقت بالملوك والعظماء، وشاع بين المسيحيين، أن الله يغفر لمن يرضى عنه آباء الكنيسة، فانتشرت صكوك الغفران، وذاغت ومارستها كل الكنائس... فكان المذنب يدفع قدراً من المال، في مقابل الحصول على صك الغفران».

والخلاصة أن المسيحية، جعلت من الكنيسة الواسطة بين الناس وبين الله، فهي التي تحمل أسرار التوبة، وتحمل مفاتيح الغفران، وأقامت من أجل ذلك شبكة معقدة من الشعائر والطقوس حتى يبقى المسيحي تحت سيطرتها ونفوذها، فلا يقوى على التمر والعصيان عليها، فهي قادرة على الغفران أو الحرمان..

لهذا قامت الحركة الإصلاحية بقيادة مارتن لوثر بالشورة على تلك الصلاحيات الواسعة الكنيسة، وكان من أهم انتقاداتها إلى الكنيسة، موضوع المناولة أو الاستحالة، وموضوع غفران الذنوب، إذ اعتبرت الأولى اسطورة وليست حقيقة، ولا يمكن للعقل البشري أن يقبلها، أما غفران الذنوب فهو حق من حقوق الله، وليس لرجال الكنيسة أي حق في هذا المضمار، فلا يغفر الذنوب إلا الله.

(١) بين الإسلام والمسيحية: أبو عبدة الحزرجي، ص ٩١

الفصل الخامس

الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية

بالرغم من أن اليهودية والمسيحية قد أخذتا قصة الخطيئة الأولى من مصدر واحد وهو التوراة، إلا أننا نجد اختلافاً كبيراً في الأفكار والنتائج التي توصل إليها اليهود أو النصارى.

فهم وإن اتفقوا على أن آدم قد نُهي عن الأكل من الشجرة، إلا أن اليهودية لا تقول أن الخطيئة التي سقط بها جعلته واقعاً تحت حكم الموت، وخاضعاً لناموس الفساد، بينما نجد أن المسيحية تقول حكم الموت لم يقع على آدم إلا بعد سقوطه في عثرة العصيان.

وبناء على ذلك يمكننا أن نورد أهم الاختلافات بين الديانتين:

(١) ترى المسيحية أن الموت الجسدي الواقع على الإنسان كان عقاباً من الله للإنسان بسبب عصيان أبيه آدم، ولكن اليهودية لا تتحدث عن هذا الموضوع ولا تذكره.

(٢) تعتقد اليهودية أن عقوبات عديدة جعلها الله على آدم وذريته منها ما هو متعلق بحواء من آلام في الحمل والولادة، ومنها ما هو متعلق بالشقاء والتعب الذي سيجده على وجه الأرض.

بينما نجد المسيحية لا تجد في مثل هذه العقوبات سبباً في تكفير الخطيئة، فالخطيئة بقيت على الإنسانية ولم تغفر، وما حل بها من كوارث ومحن لم يكن إلا نتيجة هذه الخطيئة.

(٣) تعتقد المسيحية أن الله بسبب رحمته أراد تخليص البشرية من خطيئتها ولهذا أنزل ابنه ووحده إلى الأرض بشكل إنسان، فقتل وصلب وسفك دمه من أجل أن يمسخ خطيئة الإنسانية الأولى.

ولكن رغم اعتقاد اليهودية بوجود المسيح المخلص، ولكن اعتقادها يختلف كلياً عن اعتقاد النصارى، فهم يرون أنه سيأتي في آخر الزمان ليخلصهم من اضطهاد الأمم وليعيد لهم مجدهم، ولا علاقة له بخطيئة آدم كما يتصورها النصارى.

(٤) تعتقد اليهودية أن الإنسان محاط بالشهوات والخطايا، لهذا أكثرت التشريعات اليهودية من ذكر المكفرات للخطايا والذنوب، ومن أجل ذلك أقرت القرايين والأضحيات والنذور والهبات والصيام وغير ذلك في سبيل أن يتخلص اليهودي من ذنوبه وخطاياها.

أما المسيحية فهي ترى أن المسيح رغم أنه قد كفر خطيئة البشرية الأولى إلا أن الإنسان رغم ذلك قد يقع في الخطيئة، لهذا فقد ابتكرت مجموعة من الشعائر تمسح عن الإنسان أدران الخطيئة ومنها: (التعميد، والمناولة، والاعتراف).

(٥) تتفق اليهودية والمسيحية في ضرورة وجود الكاهن أو رجل الدين عند تقديم شعائر وطقوس التكفير عن الخطيئة، إلا أن المسيحية تعتقد أن الكنيسة عندما تغفر الخطيئة فلأنها تجسد المسيح الذي أعطاهما هذه الصلاحية.

(٦) تعتقد اليهودية -كما ورد في أسفار التوراة- أن ما حدث في تاريخ اليهود من حروب وفتن وتشريد وقع عليهم، لم يكن إلا بسبب انحرافهم وكثرة ذنوبهم ومعاصيهم، فعاقبهم الله بذلك. وهذا ما لا نجده في المسيحية، لأن المسيح قد خلاصهم من كل هذا.

(٧) استبدلت المسيحية القرايين التي كان يقدمها اليهود تكفيراً عن الذنوب والمعاصي، بما يسمى بـ (المنالولة) أو (الاستحالة)، فقد أضحي هذا الطقس المسيحي بديلاً عن القرايين التي كانت في اليهودية.

(٨) تعتقد المسيحية أن للبابا ومن تبعه من رجال الدين حق غفران الذنوب عن طريق الاعتراف، وهذا لا تعترف به اليهودية ولا تقره رغم أنها تفرض وجود الكاهن عند تقديم الكفارة.

لهذا يمكن القول أن الهوة واسعة بين معتقدات اليهود ومعتقدات المسيحيين فيما يتعلق بنتائج خطيئة آدم، أو فيما يتعلق بالخطيئة والتوبة التي يقع بها الإنسان أثناء حياته، والسبب في ذلك أن المسيحية جعلت محور فكرها وعقيدتها موضوع صلب المسيح تكفيراً عن خطيئة آدم، وهذا جعلها تبتعد كثيراً عن اليهود وعقيدتهم في هذا الموضوع.

ورغم الهوة الواسعة بين الطرفين إلا أننا قد نجد بعض أوجه الشبه لأفكار وعقائد الديانتين في قصة الخطيئة فمن أوجه الشبه بينهما أنهما يعتمدان على قصة واحدة وردت في أسفار التوراة، ولذلك فهما يتفقان في أن الشجرة التي نهى آدم عن الأكل منها كانت شجرة المعرفة، ولولا نزوله من الجنة لأكل من شجرة الخلد.

إضافة لاتفاقهما في أن سبب عصيان آدم هو غواية الحية وحواء معاً، وكان أصابع الاتهام تتجه نحو حواء لأنها أغرت آدم بالمعصية مما أدى إلى الوقوع في الخطيئة.

ويلاحظ أيضاً أنهما لا يذكران أبداً إبليس ودوره في هذه المعصية، وهذا أمر بالغ الأهمية.

*** **

الفصل السادس

موقف الإسلام من الخطيئة والتوبة

بعد أن بينا موقف اليهودية والمسيحية من موضوع الخطيئة والتوبة منها، فمن اللازم بعد ذلك أن أوجز موقف الإسلام من هذه القضية الهامة ، خاصة أن أصل جميع هذه الأديان الثلاثة سماوي .

فماذا يقول الإسلام في هذا الموضوع العقائدي الهام؟

١ - فيما يتعلق بقصة آدم واكله من الشجرة بعد غواية الشيطان له ، فالقرآن الكريم يقرر في العديد من آياته أن آدم أكل من الشجرة بسبب وسوسة الشيطان له، وأنه عليه السلام قد تاب إلى الله بعد ذلك وقبل الله توبته، يقول عز وجل: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ . فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ . فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(١).

وهذه الكلمات التي تلقاها آدم كانت دعاء يدعو به الله عزوجل ليتوب عليه، وهي موجودة بقوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢). وعن مجاهد أنه كان يقول في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ الكلمات: «اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين»، «اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، رب إني ظلمت نفسي فارحمني إنك خير الراحمين»، «اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ،

(١) البقرة : آية ٣٥ - ٣٧

(٢) الأعراف : آية ٢٣

رب إني ظلمت نفسي فتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم»^(١).

وقد بيّن القرآن الكريم أن عصيان آدم لم يكن عن إصرار، وإنما عن وسوسة أدت إلى النسيان كما يقول عز وجل: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾^(٢).

والقصة القرآنية عن آدم عليه السلام وأكله من الشجرة تناقض تماماً ما ذكرته التوراة عن أن سبب نهْي الله آدم وزوجه الأكل من الشجرة، هو حتى لا يصبح الإنسان عالماً وعارفاً مثل الله عز وجل؟! لأن الشجرة كانت شجرة المعرفة!^(٣)

٢ - حملت التوراة مسؤولية الغواية على حواء، بينما القرآن الكريم يوضح بشكل قاطع أن المسؤولية تقع على وسوسة الشيطان بسبب عداوته للإنسان.

٣ - الإسلام يتسم بنظرته الواقعية للإنسان، فهو ليس ملاكاً ولا شيطاناً، بل كائن رفيع كريم، فيه أشواق الروح وتطلعاتها، وفيه من رغبات الجسم وأهواء النفس... فمن طبيعته التسامي والإرتقاء، ومن طبيعته السقوط والإلتواء، فمادامت الطبيعة البشرية قابلة للوقوع في الذنب، فإن الباب لا يوصد أمامه، وإن الرحمة لا يطرد عنها لئلا يظل في شفاء دائم وخطيئات يتبع بعضها بعضاً.^(٤)

٤ - وبناء على ذلك فإن الإسلام يرى أن الإنسان ليخطيء ويصيب، ويوصي ويطيع، ولذلك فتح الله باب التوبة على مصراعيه للتائبين العائدين إليه.

(١) مختصر تفسير ابن كثير : محمد علي الصابوني (١/ ٥٥ ، ٥٦)

(٢) سورة طه: آية ١١٥.

(٣) الرربة الروحية والاجتماعية في الإسلام: د. أكرم ضياء العمري ، ص ٧٩ ، ٨٠.

«والتوبة في الإسلام بشروط، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط:

أحدهما : أن يقلع عن المعصية.

والثاني : أن يندم على فعلها.

والثالث : أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً.

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فهناك شرط رابع وهو أن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه، وإن كان حد قذف ونحوه مكنه منه ، أو طلب عفو، وإن كانت غيبة استحلها منها»^(١).

والثلاثة شروط يجب أن تجتمع في الوقت الذي تقع فيه التوبة، فإنه في ذلك الوقت يندم ، ويقلع ، ويعزم^(٢).

٥ - يقرر الإسلام أن الإنسان عندما يقترف خطيئة فإنه لا يحتاج إلى الوسطاء، فإن الله أقرب إليهم من جبل الوريد، وهم يدعونه ويناجونه في كل مكان وزمان دون أن يحتاجون إلى الوسطاء الذين عرفوا في العقائد والأديان الأخرى بالكهنة والقسس ورجال الدين^(٣). وهذا يناقض ما ذهبت إليه اليهودية في وجوب حضور الكاهن أثناء تقديم القرابين من أجل التطهير من الذنب، ويناقض كذلك ما ذهبت إليه المسيحية فيما يسمى بنظام الاعتراف أمام القسيس. يقول الله عز وجل: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾^(٤). وهذا

(١) العبادات أحكام وأسرار : د. عبدالحليم محمود، ص ٣٦ ، ٣٧.

(٢) كتاب التوبة: ابن قيم الجوزية ص ٩.

(٣) التربية الروحية: د. أكرم العمري، ص ٩٧.

(٤) سورة الزمر: ٥٣

الخطاب موجه لسائر العباد من المؤمنين والكافرين، المرتكبين لمعاصي الكفر أو الكبائر أن لا يأسوا من رحمة الله فباب التوبة مفتوح، والرب غفور رحيم.

٦ - ومن دلائل التوبة في الإسلام (الاستغفار)، وقد جعل الله التوبة من صفات المؤمنين وعلق قبولها بالاستغفار وعدم الإصرار فقال: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾^(١)

وقد أطلق ابن قيم الجوزية على الاستغفار (الاعتذار)، وهو من تمام الاعتراف بالذنب، وأراد بالاعتذار إظهار الضعف والمسكنة عند التوبة إلى الله^(٢).

(١) آل عمران : ١٣٥.

(٢) كتاب التوبة: ابن قيم الجوزية ص ١٠.

الخاتمة

بعد أن استعرضنا في الفصول السابقة الأفكار العقائدية لليهود والنصارى في موضوع الخطيئة والتوبة، يمكننا بعد ذلك أن نصل إلى النتائج التالية:

١ - أن قصة الخطيئة الأولى التي يتضمنها سفر التكوين في التوراة، قد تضمنت الكثير من الخرافات والأساطير التي استقاها اليهود من الأمم والشعوب المحيطة بهم، خاصة البابليين والفرس.

٢ - أن القصة تتضمن غمراً ولمزاً بحق الله عز وجل فيما يتعلق باخفاء حقيقة الشجرة التي نهى آدم عن الأكل منها، لأن الله لا يريد منافسة آدم في موضوع المعرفة؟!

٣ - يتضح من سياق القصة أن الله عز وجل يأنزله آدم وحواء إلى الأرض، قد أوقع عليهما العقوبة، فما يلقيانه من متاعب وآلام كان عقاباً واضحاً لمعصيتهما في الجنة.

٤ - أن اليهودية اعتمدت كمثيراً على المكفرات الدنيوية حتى يتخلص أصحاب الذنوب من آثام معاصيهم، وكذلك أكثر من القرابين والذبائح والهباء تقدم في سبيل ذلك، وهذا جعل بعض الباحثين يؤكد أن اليهود لا يؤمنون بالجزاء في اليوم الآخر لذلك فقد استعاضوا عنها بالجزاء الذي يقع على صاحب الذنب قبل موته.

٥ - تؤكد التشريعات اليهودية على وجود الواسطة أثناء تقديم القرابين والمكفرات الأخرى، ولذلك فقد جعلت الكاهن هو السبب في وصول القرбан والمغفرة أو عدمهما.

٦ - أن المسيح المخلص عند اليهود يعد الشخصية المهمة في الفكر الديني اليهودي، إذ سيكون بظهورها خلاص الشعب الإسرائيلي من ذنوبه وخطاياهم، ودلالة على رضى الله عليه.

٧ - أن الفكر الديني المسيحي يقوم على قضية محورية تنطلق منها جميع أفكاره وعقائده، وهي أن الإنسانية تتجرع خطيئة أبيها آدم منذ نزوله على الأرض، لذا فقد أنزل الله (ابنه ووحيد) المسيح عيسى إلى الأرض بشكل الإنسان من أجل أن يصلب ويسفك دمه ليخلص البشرية من نتائج تلك الخطيئة.

٨ - أن عقيدة الصلب والتكفير عن الخطيئة لم يأت بها المسيح ولم يبشر بها أتباعه، وإنما كانت من اختراعات بولس الذي آمن بالمسيحية بعد عيسى عليه السلام.

٩ - أن بولس أخذ فكرة الفداء (بإبن الله عز وجل) لتكفير الخطيئة من ديانات وأفكار وفلسفات متعددة، أهمها الدين الهندوسي، والأفكار الفلسفية الإغريقية والرومانية.

١٠ - أن الكنيسة المسيحية استغلت عقيدة الفداء من أجل أن يبقى موضوع الخطيئة والتوبة منها بيد رجالها، لهذا فقد اخترعت العديد من الطقوس والأسرار بحيث لا يمكن أن يتم غفران ذنب إلا من خلالها، ولا يمكن التخلص من أدران الخطيئة إلا بواسطتها، فكان التعميد والمناولة والاعتراف وغير ذلك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وحده لا شريك له.

المصادر والمراجع

أبو عطا/ د. فرج الله عبدالباري : اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط . ١ - ١٩٩١ .

أبوزهرة / محمد : مقارنات الأديان (الأديان القديمة) ، دار الفكر العربي .

ابن كثير / أبو الفداء إسماعيل : مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط ٧ ، ١٩٨١ م .

ابن قيم الجوزية : أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ، كتاب التوبة ، تحقيق صابر البطاوي ، دار الجيل ، بيروت ط ١ ، ١٩٩٢ م .

جنير/ شارل : المسيحية (نشأتها وتطورها) ، ترجمة د. عبدالحليم محمود ، المكتبة العصرية ، بيروت .

الخزرجي/ أبو عبيدة : بين الإسلام والمسيحية ، تحقيق د. محمد شامة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

ديورانت/ ول : قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية .

شليبي/ د. أحمد : المسيحية ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٤ ، ١٩٧٣ م .

شليبي/ د. أحمد : اليهودية ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٥ ، ١٩٧٨ م .

شليبي/ د. عبد الجليل : اليهود واليهودية ، دار أخبار اليوم (كتاب اليوم) عدد مارس ١٩٩٧ .

شنوده/ زكي : المجتمع اليهودي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

الطهطاوي/ محمد عزت : اليهودية ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٤ ، ١٩٧٣ م .

ظاظا/ د. حسن: الفكر الديني اليهودي (أطواره ومذاهبه)، دار القلم ، دمشق، ط ٣-١٩٩٥ م.

عبدالدائم/ د. عبدالله: إسرائيل وهويتها الممزقة، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ط ١-١٩٩٦ م.

عبدالعليم/ د. مصطفى كمال و (د. سيد فرج): اليهود في العالم القديم، دار القلم، دمشق، ط ١-١٩٩٥ م.

العمرى/ د. أكرم ضياء: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، مركز الدراسات والإعلام، دار إشبيليا، الرياض، ط ١، ١٩٩٧.

فرج/ د. سيد: السامريون واليهود، دار المريح - الرياض - ١٤٠٦ هـ.

الكتاب المقدس: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

لوقا/ إبراهيم: المسيحية في الإسلام، مطبعة النيل المسيحية، ط ١-١٩٣٨ م.

المسكين/ الأب متى: شرح رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل رومية، مطبعة القديس أنبا مقار، ط ١-١٩٩٢ م.

المسكين/ الأب متى: الرسالة إلى العبرانيين (شرح ودراسة) مطبعة القديس أنبا مقار، ط ١-١٩٩٣ م.

محمود/ د. عبدالحليم: العبادة أحكام وأسرار، مطابع دار الشعب، القاهرة، ١٩٨١.

مظهر/ سليمان: قصة الديانات، مكتبة مدبولي - ١٩٩٥ م.

نجار/ نهى: الديانة المسيحية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط ١/ ١٩٩٥ م.

وافي/ د. علي عبدالواحد: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام دار نهضة مصر، ١٩٩٦ م.